العرب
الأربعاء 2021/09/01
السنة 44 العدد 12166



# رأي آخر في مؤتمر قمة بغداد

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

كل الذين قالوا كلاما كبيرا عن نجاح مؤتمر قمة دول الجوار العراقي، أو الذين بالغوا في الحكم عليه بالفشل التام، إما مغرضون منحازون إليه أو ضده، أو أنهم من الأجانب الذين لم يجرّبوا العيش في عراق الميليشيات، ولم يقرأوا خارطة الواقع العراقي بعناية ليكتشفوا أن المؤتمر كان محاولة عراقية مخلصة ومُضنية لإقناع دول الجوار العربية، ومن ورائها حليفاتُها الإقليمية والدولية، بالقبول بالعراق وهو إيراني خالص دون تغيير.

ولمن يريد مزيدا عن المؤتمر وأهدافه المرسومة عليه أن يسترجع تصرفات حسين أمير عبداللهيان، وزير خارجية الحرس الثوري، وهو يفصح، بعنجهيةٍ وصلف، عما لم يجرؤ على أن يفصح عنه الداعي للمؤتمر، رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي.

فقد تعمّد أن يخوض في أخطر خصوصيات الشأن الوطني العراقي الخاص، وكأنه مكلّف بأن يبلغ الضيوف، وجها لوجه، بأن العراق عراقُهم، وعلى من يريد أن يدخله وهو آمن إما أن يقبل، صاغرا، بالوصاية الإيرانية عليه وعلى المنطقة، أو أن يستعد لصواريخهم ومسيَّراتهم التي لا ترحم ولا تنتهي.

وقد يكون الوزير، وبالصورة الاستفزازية التي ظهر بها في صف ملوك الدول والرؤساء والأمراء، أراد أن يحذر الكاظمي من أن يذهب بعيدا في التبشير بفكرة إعادة العراق إلى عمقه العربي، وخاصة السعودي والإماراتي تحديدا.

**هل يمكن أن تساعد سياسات الضيوف العرب القديمة والجديدة تجاه العراق على تثبيت حالة الاستقرار في العراق وفي المنطقة عقب الانسحاب الأميركي المنتظر من الأراضي العراقية مثلما رددت فضائياتهم وصحفهم**

ثم استغل النظام الإيراني فرصة عقد هذا المؤتمر القزم الذي يفترض أنه للتهدئة والحوار وتبريد الجبهات المشتعلة، فوجه رسائل صاروخية إلى دول الجوار، ورسائل أخرى متعجرفة أطلقها على الضيوف ممثل الحرس الثوري، متعديا على كل قواعد النظام المتبعة في مثل هذه المؤتمرات.

ثم، وزيادة في التعالي والعجرفة والعنجهية تعمّد في كلمته أن يترحّم على القتيل قاسم سليماني، وهو يعلم أن ضيوف المؤتمر، كلهم، مؤمنون بأنه قاتل العراقيين والسعوديين والإماراتيين والأردنيين والكويتيين والبحرينيين، دون منازع.

ثم بكى على قتلى الحشد الشعبي في الحرب الكونية ضد داعش، وأهمل، متعمدا أيضا، شهداءَ الجيش العراقي، ودورَ الحلفاء الأجانب، وخاصة الأميركيين. كما لم يُضمّن خطبتَه ولو كلمةً واحدة عن تضحيات أهالي المحافظات المحررة ومعاناتهم، وهم الذين دفعوا الثمن الأكبر في أيام احتلال داعش لمحافظاتهم، ثم في المعارك التي دارت، بعد ذلك، على أيدي الميليشيات التي احتلت المحافظات المحررة، واستبدّت بها، وعبثت وظلمت ونهبت واغتصبت بأكثر مما فعله الدواعش.

ونيابةً عن رئاسة جمهورية العراق وحكومته وبرلمانه وشعبه، وبلهجة المتصرف بملكه الخاص، أعلن إصرار النظام الإيراني على نهج القتيل سليماني، ووبَّخ الكاظمي لعدم دعوة بشار الأسد، وطلب أن يخرج من الأراضي العراقية آخر جندي أميركي و(أجنبي)، ولكن مع بقاء الحال الإيراني في العراق على حاله.

سؤال مهم، هل كان يمكن أن تساعد سياسات الضيوف العرب القديمة والجديدة تجاه العراق على تثبيت حالة الاستقرار في العراق، وبالتالي في المنطقة، عقب الانسحاب الأميركي المنتظر من الأراضي العراقية، مثلما ردّدت فضائياتهم وصحفهم، خصوصا وأن أغلبهم يتبنون سياسيين عراقيين سنة، ماليا وسياسيا وحتى تسليحا، رغم علمهم بأنهم فاسدون مبغوضون من طائفتهم، نفسها، ومنفّرون مُستفزّون لطواف أخرى؟

شيء آخر. إن جميع الذين تحدثوا في المؤتمر حاولوا إفهامنا أن محاربة الإرهاب هي هدفهم الأول، من أجل الحيلولة دون انجرار العراق إلى فوضى على الطريقة الأفغانية، وهم يعلمون بأن الإرهاب القادم من أفغانستان ليس له سبيل للعبور إلى العراق، ومنه إلى المنطقة، إلا إذا سمحت إيران بمروره، وربما بدعمه وتسهيل مهمته.

ومجرد دعوة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي لحضوره، (وقد أناب عنه وزير خارجيته)، يعني أن المؤتمر مصمم للتعارف وتبادل الأحضان والقبلات، وليس لصنع القرار، وذلك لأن الإرهاب الإيراني العراقي هو أهم أسباب الفوضى الأمنية والسياسية والاقتصادية في المنطقة، وأخطرُها.

ويقول كثيرٌ من الأشقاء العرب المنظرين الذين ظهروا كثيرا على الفضائيات العراقية والعربية والعالمية معلقين على نتائج قمة بغداد إنها "كانت محاولة من الدول العربية لإحداث توازن استراتيجي في العراق والمنطقة".

ولكن الأمر الوحيد المتوفر أمام هذه الدول لاستعادة العراق هو فقط تعاونُها الاقتصادي مع الحكومة العراقية في مشروعات استثمارية، بشكل خاص، ومثل هذا التعاون الاقتصادي لن يتحقق بوجود الفصائل الولائية الإيرانية المسلحة التي تتحكم بالصغيرة قبل الكبيرة من مشاريع الاستثمار (الأجنبي) في العراق، خصوصا إذا كانت سعودية أو إماراتية، وإلا إذا كانت سطحية لا تتحرّش بالاحتلال الإيراني وميليشياته المتسلطة.

ولا يلام عراقيون غرّدوا على مواقع التواصل بأن الذين وافقوا على حضور المؤتمر، وهم يعرفون مسبقا أن الذي يحتل العراق ويباهي باحتلاله سيكون على رأس المدعوين لحضوره، موافقون ضمنا على ترك العراق لإيران، وأنهم آتون فقط للتحاور معه من وراء ظهر الحكومة العراقية، ولو بالإشارة.

أما غياب وزير خارجية أميركا عن المؤتمر أو من ينوب عنه فليس له سوى معنى واحد، هو أن الإرادة الدولية، تحت القيادة الأميركية، لا تريد الآن، وحتى إشعار آخر، للإرادة الإقليمية، وخاصة العربية، أن تتصرّف بملف الوجود الإيراني في العراق، وذلك لأسباب لا يدركها إلا ذو عقل سليم.

# مؤتمر بغداد تسويق لماكرون واللهيان والكاظمي

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

بغض النظر عن الجانب الشكلي في اسم اجتماع بغداد، الذي لم يخرج للعلن إلا قبل ساعات من انعقاده تحت عنوان "التعاون والشراكة"، إلا أنه من المعروف في عالم العلاقات السياسية أن هناك تجمّعات عربية كالقمة والخليج العربي وأخرى إقليمية إسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة والعشرات من المنظمات الأخرى وظيفتها بحث سبل التعاون والعلاقات الدولية والمشكلات الساخنة وطويلة الأمد لعلّ أهمها قضايا الحدود والمياه وغيرها.

لم يحصل أن دولة أو نظاما سياسيا كالعراق، الذي يعاني من أزمات داخلية تتعلق ببنيته وعلاقته بهموم الشعب بسبب سيطرة إمبراطورية الفساد والميليشيات، يسعى لجمع دول مجاورة ودولة كبرى تحتفظ بعلاقات إيجابية مع العهد الحالي للاجتماع، ويحتار رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي في وضع عنوان مطابق لهدفه المقصود في الحصول على دعم سياسي عربي وإقليمي. سبق أن عقد مؤتمران لدول الجوار العراقي، الأول في شرم الشيخ في عهد حكومة إياد علاوي وإسطنبول والكويت عام 2017، وآخر للمانحين عام 2018، الذي كانت حصيلة ما جمعه من أموال متواضعة، وكانت السعودية والإمارات والكويت في مقدمة المانحين، بينما لم تقدم إيران سوى الكلام وتسويق نفسها والإدعاء بأن لها الفضل في تحرير العراق من داعش.

بغض النظر عن العموميات الإيجابية لاجتماع بغداد الأخير، على مستوى دول الأشقاء العرب، التي أكدت عروبة العراق رغم وجود إقليم كردستان داخله. ولم تتردد بلدان الخليج العربي في الاستجابة للدعوة والحضور في مستوى التمثيل الذي قدّرته مناسبا، رغم عدم دعوة كل من البحرين وعمان، فيما تمت دعوة كل من الإمارات ومصر وهما ليستا مجاورتين. العواصم العربية المدعوة لديها تقاليد راسخة في العلاقات، واستجابت حرصا منها على أهمية عودة العراق إلى عمقه العربي. لكنها لم تتفاعل مع الخيال الذي أشاعه الكاظمي بأن حكومته قادرة على بحث وحل مشاكل الخصمين العربي والإيراني، في هذا الاجتماع رغم تراجعه في الساعات الأخيرة وإعلانه أن الاجتماع لا يبحث في المشكلات بل هو من أجل دعم العراق.

قصة الخلاف السعودي الإيراني التي روّج الكاظمي إلى أنه يسعى لتسويتها ليست مشكلات ثنائية حدودية، أو ما شابه ذلك، ويمكن حلها بالتفاوض أو الوساطات، إنها مشكلة بنيوية عربية مع نظام يحمل أيديولوجية ثيوقراطية ومشروع سياسيا توسعيا بقيادة ولي الفقيه برئاسة خامنئي مدمّر ومخرّب البلدان العربية. وكان العراقيون أولَ المتضررين من سياساته واحتلاله ذي الطابع الميليشياوي لبلدهم، قبل أشقائهم العرب. طريق حل هذه الأزمة يتم فقط باستعدادات نظام طهران للتخلي عن مشروع تصدير الثورة والتخريب، والواقع يقول إن ذلك لن يتحقق.

هذا الاجتماع في جانب منه مهرجان سياسي إعلامي لدعم حكومة الكاظمي في الظرف الخاص الذي يمرّ به. فهو طامح لعبور الانتخابات وإعادة تنصيبه مجددا، بعد ترتيبات داخلية أصبحت مكشوفة في عودة الزعيم الشيعي مقتدى الصدر عن قراره مقاطعة الانتخابات، تحت مبررات تقديم القادة الشيعة تطمينات شكلية بما سمّي ميثاق الإصلاح ليأخذ مكانه في تسلسل أرشيف هذه القيادات من مواثيق ولوائح شرف في مواسم الانتخابات.

**ماكرون يعتقد أنه قادر على ملء الفراغ الاقتصادي بعد الانسحاب العسكري الأميركي رغم أن للولايات المتحدة مكانة اقتصادية مهمة في العراق تحاول الميليشيات المسلحة عرقلتها لصالح تفرد طهران بالنفوذ**

الجانب الأهم والعنصر المتوافق مع هدف الكاظمي هو دخول الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على خط التحضير وتشجيع عقد قمة بغداد، رغم أن لا صلة موضوعية أو مكانية تربط فرنسا بمثل هذا الاجتماع الذي لم تحضره كل من الولايات المتحدة صاحبة الشأن الدولي الأول في الحالة العراقية، كما لم تحضره شريكتها بريطانيا.

التفسير الواقعي في هذا الجانب يتعلق بخلفيات دور فرنسا الحالي ومطبّاته الكثيرة في المنطقة العربية، في كل من ليبيا ولبنان، حيث سبق أن حاول رؤساؤها تمثيل دور الفاعل الاستراتيجي بعد نهاية عصر استعمارها الاستيطاني في كل من الجزائر والمغرب وتونس ولبنان. ومحاولة ترجمة سياسات دعم الحريات الثقافية والأقليات الدينية والقومية، مثال على ذلك دور دانيال زوجة الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران في دعم قادة حركة إقليم كردستان العراق ضد نظام صدام عام 1991.

الدول الكبرى تعتمد في علاقاتها مع منطقة الشرق الأوسط على مبدأ استثمار الفرص. كانت فرنسا شيراك ضد الحرب الأميركية على العراق، وقادت تحالفا روسيا ألمانيا ضد تلك الحرب، لكنها لم تعطّلها، مما كلفها ثمنا باهظا، بإبعادها عن المشروع الأميركي لإعادة الاعمار الذي مات تحت أقدام الاحتلال الأميركي. حتى حكومة الاحتلال العراقية غضبت حينها على فرنسا لأنها وقفت ضد الحرب.

في ما بعد، نجح الرئيس السابق نيكولا ساركوزي في استعادة الود مع واشنطن بدعمه لسياساتها، وسعى الرئيس الحالي ماكرون المعروف بوسطيته لتحقيق مكاسب جيوسياسية في العراق رغم فشله الأخير في لبنان.

ويعتقد ماكرون أنه قادر على ملء الفراغ الاقتصادي بعد احتمالات الانسحاب العسكري الأميركي، رغم أن للولايات المتحدة مكانة اقتصادية مهمة في العراق تحاول الميليشيات المسلحة عرقلتها لصالح تفرد نفوذ طهران.

ويعيد ماكرون التقليد الفرنسي في استمالة الأقليات العرقية والدينية، كان ذلك واضحا في جولته بمدينة الموصل، وفي اجتماعه في كنيسة الساعة لم يستطع أن يخفي الإحراج الذي تعرّض له حين سُئل من أحد رجال الدين المسيحيين عن سبب عدم معرفة الدول الكبرى باجتياح فلول داعش للموصل.

وعلى طريقة سياسة نظام طهران الماكرة والمشاكسة والمعرقلة لأي انفتاح عراقي على العرب والعالم، لم تترك طهران فرصة زيارة الرئيس الفرنسي للموصل تمر دون أن تذكّره، من خلال تصريح الناطق باسم الخارجية الإيرانية، بأن الفضل في قدرته على المشي في الموصل المحررة يعود إلى إيران، في تعدٍّ رخيص ووقح على دور الدماء العراقية الزكية في تحريرها.

سبق ذلك التصرف البروتوكولي الميليشياوي المُحرج لحكومة العراق، والمتمثل بتقدم وزير الخارجية حسن أمير عبداللهيان في وقفة الصورة التذكارية من صفوف وزراء الخارجية إلى صفوف الرؤساء، وتبع ذلك بكلمة غير لائقة لا في مناسبتها ولا موضوعها ولا مناخها، حيث عبّر بوقاحة عن هيمنة نظام إيران على مقدرات العراق، وإعلانه رفض إيران التدخل في شؤون العراق الداخلية، وفي تأبين القتيلين الجنرال قاسم سليماني وأبومهدي المهندس. فيما صحّح نطقه متعمدا رقم حجم التبادل التجاري بين بغداد وطهران، من 300 مليار دولار إلى 13 مليار دولار، والرقم المُصحّح هو مقدار ما تسرقه إيران من العراق.

لم يجرؤ الكاظمي على الرد، وهو لا يريد أصلا ذكر حقيقة الوضع السياسي والأمني الداخلي الخطير أمام الحاضرين، فقد يمنع ذلك فتح أبواب الاستثمار وتقديم الإعانات، كان بإمكانه لو أراد وتمكن ذكر جزء من محنة شعب العراق ليكسب تعاطف الأشقاء معه، مثل تراجع قوة الدولة وهيبتها أمام قوى الفساد والميليشيات والصورة المشرقة لثورة أكتوبر "تشرين". فهو واثق أنه سيدفع ثمنا باهظا لو فعل ذلك وأثار غضب اللهيان.

لا نتجاوز الحقيقة لو قلنا إن مؤتمر بغداد كان مهرجانا لماكرون الفرنسي واللهيان الإيراني، وورقة مرور للكاظمي يعتقد أنه من خلالها سيسهل مشروع قبوله رئيسا بعد الانتخابات، رغم أن طهران تدرس الخيارات في حينها ما بين الاستجابة لمشروع الصدر في زعامة الحكومة أو ترشيحه للكاظمي، أو ستغامر في تقديم بديل ميليشياوي موالٍ بنسبة مئة في المئة لطهران.

شعب العراق وحده الخاسر وهو يتفرّج على فصول هزيلة من مسرحية تعمق إفقاره وتحرمه من حقه الإنساني في الماء الصالح للشرب والكهرباء والصحة والتعليم. يعلم هذا الشعب، صاحب أسطورة الألم والمعاناة، أنه لن ينقذه سوى صموده وتحويل إرادته في التغيير إلى برامج وطنية.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk